ساعة راحة

استلقت « سنية » تتقيل بعد ما أصابته من غداء دسم ، واستوى زوجها على مقعده الوثير وقد تحرر من رباط الرقبة ، واستبدل بحذائه خف البيت المريح ، وما إن اطمأن فى مجلسه على المقعد الرحيب ، حتى حانت منه التفاتة إلى جريدته ، فنشرها بين يديه ، وأخذ ينقل نظراته بين سطورها يتلقط الأنباء ، فاتر الهمة ، متخاذل الأوصال ، وقد تدلت من فمه لفافة تبغ يتشكل دخانها دوائر وحلقات .

وأظل الزوجين صمت موصول ، وكلما قلب « عزيز » صحائف الجريدة خشخشت تشوب رونق السكون .

وكانت أسجاف النوافذ مسدلة تحجب وهج النهار ، فأضفت على الحجرة جواً من رخاوة وهدوء ، وغازل عينيه طائف الكرى ، فما عتم أن استجاب له فى رضا واستسلام .

ومضت الدقائق يأخذ بعضها بتلابيب بعض ، فتجمعت فى حساب الزمن ساعة ، وما انفك الزوج غائباً عن العالم المحسوس

ينبعث منه غطيط ملحوظ .

وتتابعت حشرجة الزوج تحاصر مخدع الزوجة ، وتنفر عنها لذيذ النعاس ، فاعتدلت تبصر زوجها ما فتئ على كرسيه ممدداً ، والجريدة تتدلى من يديه حتى تلامس الأرض ، وخصلة شعره تتشعث على جبهته ، وفمه منفرج عن ذلك الغطيط المسموع ، فاستشعرت بعض الضيق ، وجالت نظراتها فى عرض الحجرة على غير هدف كأنما تتلمس فى أثاثها مسلاة تعينها على قتل الوقت ، ريثما يستيقظ رفيقها النئوم ، لتعاود معه الحياة .

وأولت وجهها سقف الحجرة ، فما وقعت عليه عيناها ، حتى تشبثت به لا تقوى أن تزور عنه ، كأنه يشع تياراً كهربياً يجذب إليه البصر .

وكان من المألوف لديها ، أنها إذا علق نظرها بالسقف استبد بها سهوم يدنيها من عالم الأحلام . وسنحت لها فكرة ، فكرة لطيفه شائقة ، فلم تطق أن تتركها فى تلافيف رأسها الفضى ، فتنحنحت مرات تقطع على زوجها نومته ، فاضطربت أوصاله يتنبه ، وما هى إلا أن فتح عينيه ، وأطلق تثاؤبة كبيرة وهو يهمهم :

أنت يقظى . . . ماذا فى الأمر ؟

فقالت له الزوجة تداعبه وتزجى ضحكة لينة عابثة :

هبطت علىّ فكرة . . . أقسم لك إنها لا تخلو من طرافة.. إن سقتها إليك سررت بها لا ريب . . . ستتيح لنا فرصة لهو ومؤانسة . . . سأحدثك :

ــ تحدثينى ؟ !

ــ أمامنا متسع من الوقت ، ولم تحن بعد ساعة الخروج . . .

ففرك الزوج عينيه فى دهشة ، وحملق فى زوجته يتبين تلك الفكرة التى طرأت على غير موعد ، فقطعت عليه فترة الدعة والاستجمام . . .

وتهيأت الزوجة للكلام ، وإذا هى تقول :

ماذا يا « سوسو » أما زلت نائماً . . . ألا ترعينى سمعك ؟

وهز الرجل كتفيه حانقاً ، وأقبل على نفسه يلملم ما تبعثر من شأنه ، فنحى الجريدة عنه ، وعمد إلى خصلة شعره النافر يسويها ، ليستمرئ تلك الفكرة الطريفة التى هبطت من السماء على زوجته ، لتنصب على رأسه شقوة ونقمة . . .

وسارعت الزوجة تكاشف رجلها بذات نفسها فى تحمس ، وهى تستجمع على السرير ، وتعتمد ذقنها بإحدى ركبتيها ،

وعيناها يتلألأ فيهما دهاء :

هب أننا لم نكن متعارفين ، وهيأت لنا المصادفة أن نجتمع . . . فالتقينا . . . أين يا ترى ؟ . . . .

ودارت « سنية » برأسها تفتش عن عش لائق ، وبعد لأى خرجت من صمتها تقول :

وجدته . . . دار الخيالة . . . اكتشفتنى أنت وأنا أبتاع تذكرتى لمشاهدة العرض . . . كنت تلينى فى الصف عند الشباك . . . فتنتك وسامتى وهمت بى أشد هيام . . . تعمدت أن تظفر بالمقعد الملاصق لمقعدى . . . تحققت لك الأمنية فجلست بجانبى . . . هذا هو الافتراض . . . ساذج بسيط كما ترى . . .

وتململ الزوج يزجى بكلمة ، لكنها تابعت تقول :

يحق لى أن أسائلك إذن ماذا كنت فاعلا . . . أتحاول ملاطفتى والتودد إلىّ . . . ؟ أتقبل علىّ مطنباً فى إطرائى مشيداً بطلاوتى . . . ؟ أتتحين الفرص لملامسة يدى تبتغى بها الوسيلة إلى مجاذبة الحديث . . . فإن زجرتك تصنعت الأسف ، وأطلقت لسانك بكلمات استعفاء . . . أكنت واجداً نفسك مسوقاً تختلس إلىّ النظر تشفى به قلبك الولهان ؟ . . . بماذا

تجيبى . . . ؟ تمعن . . . كل كلمة تتفوه بها لا ريب محسوبة عليك . . .

واستمع « عزيز » إلى زوجته وهو يتميز من الغيظ ، فأطلقت « سنية » ضحكة طائشة ، وغمغمت :

. . . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان !

وشفعت قولها بابتسامة ساخرة .

وأطبق عليهما الصمت ، وانصرف الزوج يحك رأسه بأنملته يفكر فى إجابة لا تأخذها عليه زوجه ، فتعكر بها صفو يومه .

وأحد الرجل فطنته ، غير أنه ألفى نفسه صامتاً لا ينبس ، فنهضت إليه زوجه فى غلائلها التى تشف عن جسدها البض وعودها المشيق ، فأطال إليها النظر يتملاها وعيناه تفيضان بالأحلام .

وأدركت الزوجة ذلك منه ، فرفعت صوتها تقول والبشر يتوضح على محياها :

ستحاول حتماً مغازلتى . . . ستسر إلىّ بكلمات المديح والإطراء . . . ستتحين فرصة انكماش النور لتلمس يدى . . . ستتصرف مثل أترابك ولداتك . . . واهاً منكم معشر الرجال .

وأمسكت هنيهة تجتذب أنفاسها . . .

حقاً إنه لرجل مثل سائر الرجال . . .

ماذا يعصمه . . . ؟

لن يكون إلا كذلك ينساق فى مغازلة رخيصة ، لا يحجم ولا يحتشم .

واستبد بها هذا التفكير الحائر ، وانقلب زوجها هذا الرجل الكريم فى عينيها عابثاً ماجناً غير مستقيم ، وشاعت على وجهها مسحة من كآبة واغتمام . . .

واستبان الزوج ما تعانيه « سنية » من هيجة وقلق ، فأقبل عليها يبغى كلاماً ، ولكنها صرخت :

دعنى أتم لك حديثى . . . . لم تكن تفوتنى خفية نفسك ومكنون حيلتك . . . عهدتك ونحن فى الطريق أو فى محفل جامع تقلب النظر فى الأوانس الكاعبات تكاد تبتلعهن بنظراتك العطشى ، ولسان حالك يقول : حرام أن يغلوا رقبتى برباط الزواج مبكراً . . . وكم مرة يطالعنى وجهك وقد شاعت فيه أمارات غم وتحسر . . .

وأراد الرجل أن يخرج من صمته ، وقد ضاق ذرعاً بذلك الافتراء الأثيم .

أليس من حقه أن ينفى ما يرمى به من نعوت ؟

لا . . . إنك لا تملك لنفسك حقًّا !

واعتدل الرجل فى جلسته يشعل لفافة تبغ ، وكان ينفخ دخانها فى ضيق ، على نحو مثير .

فألفت « سنية » نفسها منساقة تتطلع إلى الدخان المتطاير ، وجمجمت فى غيظ :

نعم . . . أنت تشعل لفافتك لتخفى ما أنت فيه من حيرة وارتباك . . .

فأشاح الرجل بيده ، وهو يمط شفته علامة النفى ، فسمعها تهمهم :

إنى على حق . . . كل الرجال خونة . . . خونة . . . أسامع أنت ؟

وصدفت عنه « سنية » تلوذ بركن قصى وهى تبرطم ، وقد استبد بها نشيج تقطعه تلك العبارة :

لا تحسبنى أغار . . . فهذا آخر ما يخطر لى على بال !

وماذا عليه إن كان عابثها ؟ . . . ألم يكن يومئذ مثل هذا الهواء طليقاً لا إمرة لأحد عليه ولا سلطان . . . ؟

وأين هو من الخيانة . . . ؟ ألم تفترض فى معرض الحديث أنه أعزب ليس فى حياته امرأة توجب عليه حقًّا يرعاه . . . ؟

يا للنساء . . . !

عليه معالجة الأمر ، عليه أن يترضاها وأن يستغفرها من ذنب لم يقترفه .

وهبّ الزوج يترك مقعده ، وسار إلى زوجته يشيع على محياه اضطراب وأسف ، وحاول أن يحنو عليها ويحتويها فى صدره ، فأزاحته عنها فى حركة تنم عن التأفف والاستنكار .

ولكنه هبط على أذنها فى ملاينة وتلطف قائلا :

هبى أن ذلك وقع لك ولى ، ألست تسعدين بأن زوجك أعجب بك قبل أن تصل بينكما عقدة الزواج ؟

فردت عليه فى جفاء ، وما فتئت توليه ظهرها ، شامخة الأنف :

وهل كنا زوجين . . . ؟

فقاطعها يقول محاولاً الإقناع :

لقد أصبحنا زوجين !

فأقبلت عليه توليه وجهها وما برحت شرقة بالدمع :

لم تكن تزوجتنى بعد !

— ماذا يهم ، وأنت نفسك فى الحالين بيت القصيد ؟

وتلعثمت الزوجة ، فأردف يقول :

ألم يدلك كل ذلك على قوة إعجابى بك وحبى إياك ؟

وجنحت « سنية » إلى المسالمة ، فجذبها إليه ، فطاوعته ، وتمتم فى صوت خافت وهو يحتويها بين ذراعيه :

ما زلت هائماً بك يا « سنية » . . . ملكت قلبى . . . أحبك . . .

فقالت له فى تخلع ودلال ، وهى تجتذب منديله من جيب سترته ، تجفف ما تلألأ على خديها من دموع :

ماذا تقول ؟

أحبك . . . أحبك . . .

وتنهد الزوج تنهدة مديدة ، فأقبلت الزوجة عليه ، عينها متناومة ، وفمها يتودد ، فهوى عليها فى قبلة محتدمة ، وعناق جياش ! . . .